بدوا للمحاكمة . » ولكن عمل « دن » لا يزال في بدايته ...

وهنا لا بد من الاشارة الى ان كتاب ايلكنز يفرض علينا مقارنة الحالة التي كان يعيشها اليهود في اوروبه بالحالة التي يعاني منها الفلسطينيون في الوقت الحاضر ، وذلك لانه من مأساة اولئك اليهود ولدت مأساة فلسطين ونشب النزاع العربي ـ الاسرائيلي الذي يظهر وكأن لا نهاية له . ويعلق ايلكنز على التصويت على قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الجمعية العمومية للامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين الى دولة عربية واخرى يهودية : « لقد ساهمت عوامل عدة في نتيجة التصويت ، ولكن النقاش الطويل الذي سبق ذلك يقدم دليلا كافيا على ان الجمعية العمومية اتخذت هذا القرار كتعبير عن الندم ، على الاقل . » ويعرب ايلكنز عن أسفه لعدم قيام اي من الدول الغربية بعد الحرب بفتح ابوابها لاعداد كبيرة من اليهود ، رغم علمها بالرعب الذي عانوا منه في المانيه ، ويقول : « في ١٩٤٥ ، تمكنت جيوش الامم المتحدة من تحرير اليهود الجائعين من معسكرات الموت ومعسكرات الاسترقاق ، والمت بعضهم من الغابات ومجارير الحارات ، وحررتهم بجمعهم وجعلتهم يرون شعاع المستقبل الذي ينتظرهم في العالم الحر الجديد ـ معسكرات ثانية ، ومعسكرات جديدة ... حيث كانوا يحصلون على الغذاء والملبس والعناية الطبية ، يتزاوجون وينجبون الاطفال ، بعد ان كان من الموقع ان يموتوا جميعهم . »

ولكن هل صحيح ان المنظمة الصهيونية العالمية كانت تتمنى ان يجد بقية اليهود بيوتا مفتوحة في بلدان صديقة حيث يتمكنون من الاستيطان بكل هدوء بل وربما ينصهرون ولا يتعلمون الشعار الصهيوني حول « العودة الخالدة » و« العودة الى صهيون »، اي ان على اليهود ان يذهبوا الى «ارض الميعاد»، الى فلسطين ؟ صحيح ، يمكن ان نفهم ان كون ايلكنز يهوديا جعل عاطفته كلها الى جانب اليهود ، ولكن الى الحد الذي يرفض فيه ايلكنز ان يرى الحيف الذي لحق بالفلسطينيين بسبب « فعل الندامة » الذي قامت به الامم المتحدة ، مما وضع بداية سلسلة من المعاناة و« التعفن » في المخيمات للفلسطينيين الذين لم يكن لهم أي دور على الاطلاق في اضطهاد اليهود . يمكننا ايضا ان نفهم سبب المرارة التي يشعر بها ايلكنز تجاه لامبالاة العالم نحو اليهود ، ولكن مرارته تضيع في متاهات خيالاته عندما يتهم بريطانيه بأنها « محرضة فعالة على عدوان العرب » وان « الامم المتحدة لعبت دورا أكثر سلبية ولكنه بالخساسة نفسها » وان « الدول الاعضاء اظهرت ان التصويت كان مجرد طقس لطرد شبح الاموات من اليهود ولتهدئة الضمير المضطرب للعالم عن طريق تعويذات خالية من اي معنى او هدف . » وكذلك عندما يتحدث ايلكنز عن « عدوان العرب » في ١٩٤٨ يتجاهل حقيقة كون الفلسطينيين الذين خاضوا غمار الحرب هم الشعب الذي عاش في تلك البلاد منذ اجيال لا تحصى ، وكانت تشدهم روابط عضوية بالبلاد كالصخور التي شيدت عليها المدن والقرى . ولقد كان الفلسطينيون دون أية مساعدة من بريطانيه او اية دولة غربية اخرى ، يحاولون يائسين ، وبدون اية فعالية ، كما ظهر فيما بعد ، مقاومة قرار الدول الغربية اجتثاثهم لفسح المجال لليهود ليسكنوا مكانهم . وانه لامر غريب حقا ان لا يرى ايلكنز جريمة ومهزلة السياسة الصهيونية في فلسطين ، أو ان لا يحس بالخطر الناجم عنها . ويساهم اليهود بشكل أعمى، بمساعدة أولئك الذين اضطهدوهم ، على خلق دولة شعبها يعيش حالة من اليأس كالتي كان يعاني منها اليهود في أوروبه خلال الحرب العالمية الثانية ، وكل ذلك على انقاض أمن الوطن الذي اقتلع منه الفلسطينيون . والفلسطينيون اليوم يناضلون وحيدين من اجل البقاء كما كان اليهود في اوروبه ، ولكن الجميع خانوهم او تخلفوا عن مساعدتهم ، بما في ذلك بعض « اخوانهم العرب » . وهم اي الفلسطينيون ايضا ايقنوا « أن لا أحد يهب لنجدة من لا يحسن الدفاع عن نفسه» وان «لا دولة، اية دولة،تتحرك ضميريا او بحسن النية اوبالاستغاثة المدوية » بسبب حالتهم . وفي نهاية الكتاب يقول ايلكنز : « ان الرجال الذين يحرم عليهم التمتع بالعدالة ، يأخذون منها قدر ما يمكن ان تصل اليه ايديهم وبأي اسلوب ممكن . نعم ، جميع الرجال ، بما في ذلك اليهود . » وهكذا فان النتيجة المؤسفة التي يمكن للمرء ان يخلص اليها عند انتهائه من قراءة الكتاب هي ان الرجال ، جميع الرجال ، بما في ذلك اليهود ، لا يتعظون بعبر الماضي .

ايرين بيسون